ملامح من إسهامات الصحافة الوطنية بالجزائر في النهوض باللغة العربية

د.محمد بن سمينة

جامعة الجزائر

تحاول هذه الكلمة أن تتلمس طريقها في دروب الصحافة الوطنية، للوقوف عل بعض ما كان لها من إسهامات في النهوض باللغة العربية: إحياءا ونشرا، تمكينا ومنافحة، ويمكن أن يدور النقاش لإجلاء ذلك في هذه المحاور:

1. الصحافة الأجنبية في الجزائر ظهورها واتجاهاتها.
2. الصحافة الوطنية بداياتها وأنواعها.
3. الصحافة الإصلاحية واسهاماتها في النهوض بالعربية.
4. مستويات الأداء اللغوي في الخطاب الإعلامي الإصلاحي.
5. الصحافة الجزائرية بين الأمس واليوم.

6. الخلاصة.

الصحافة الأجنبية في الجزائر نشأتها واتجاهاتها:

نبادر بالقول أن الباحث في تاريخ الصحافة بالجزائر ينتهي به الدرس إلى أن بداية ظهورها، إنما يرجع إلى تلك الصحف التي أصدرها الفرنسيون بعد الاحتلال بقليل ،وتتوزع هذه الصحف الأجنبية إلى مجموعتين:

1. المجموعة الأولى: صحف استدمارية توجها ولسانا، ويعود ظهورها إلى العشرية الأولى بعد الغزو، وتأتي في مقدمتها صحيفة (الأخبار)، وقد أصدرتها الولاية العامة في (1837/07/12)، ثم ظهرت (المبشر) في (1847/07/15)، وتأتي هذه الصحيفة في المرتبة الثالثة من بين ما صدر من صحف في العالم العربي،بعد صحيفتي (التنبيه 1800) و(الوقائع المصرية 1828)، وكلتاهما مصريتان. وقد جاءت (المبشر) على شاكلة سابقتها (الأخبار) توجها وتحريرا، باستثناء ترجمة بعض النصوص منها إلى العربية، بلغة ركيكة وأسلوب هزيل.

ثم ظهرت (النصيح) باللسان العربي في (أكتوبر (1899)، وكانت على خطى سابقتيها إدارة وأغراضا، كما لم تكن أحسن حالا منهما في أدائها اللغوي.

وإن المتصفح لهذا النوع من الجرائد الاستدمارية يقف على ضعف أدائها وكثرة أخطائها وركاكة أسلوبها، وهي إلى جانب هذا الحال من التدني في أسلوبها، كانت مكرسة في توجهها الإعلامي لخدمة أغراض الاحتلال،

ويمكن للمرء أن يلمس ذلك من خلال بعض النصوص من جريدة (النصيح) التي تعكس بوضوح ذلك التوجه الإعلامي الاستدماري، و ذاك المستوى اللغوي الهابط بهذا النوع من الصحف، ويمكن أن يمثل لذلك بهذا النص من صحيفة (النصيح) "الواجب علينا انوصوا (كذا) المسلمين أحبابنا، فالمطلوب منكم لا تشتغلون (كذا) بالأمور التي خاطيتكم (كذا) ومهما صارت دعوة أو وقع فساد فإياكم والمخالطة مع فعالها (كذا) واتركوا أصحابها وابعدوا عنهم"[1].

وإن صحفا هذا حالها، احتفالا بالأخطاء اللغوية والنحوية، وتشبثا بأذيال العامية، وتجافيا للفصاحة والإعراب، ليس من المنطقي أن يوطن باحث نفسه بأن يعثر في مثلها على ما يراعي أبسط قواعد العربية وأوضح أساليبها، بله أن يجد فيها ما نحن بصدد البحث فيه من النهوض بالعربية وترقيتها.

2. **المجموعة الثانية:** جرائد استدمارية توجها وأغراضا، وجزائرية تحريرا ولسانا، ويمكن أن يؤرخ لها بمطلع القرن العشرين، وهي كصحف المجموعة الأولى من حيث إشراف سلطات الاحتلال على إدارتها، إلا أنها تختلف عنها من حيث تحريرها، فقد كان ينهض به فريق من الكتاب الجزائريين، ومن أهم جرائد هذه المجموعة إسهاما في النهوض بالعربية: هاتان الصحيفتان (المغرب 04/10 /1903) و(كوكب إفريقيا 1907/05/17)، وكان يشرف عليهما – ممثلا لسلطات الاحتلال– الفرنسي (بيار فونتانا P.FONTANA)، صاحب المطبعة الشهيرة. وكان يرأس تحرير هذه الأخيرة

1. د. محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية ص: 24.

الشيخ محمود كحول (1870/ 1936)، ويقول عنها عمر بن قدور: "أما كوكب إفريقيا فإنها لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسمية،عارية من كل صبغة وطنية"[1].

ومما يمكن تسجيله على هاتين الصحيفتين من حيث أسلوبها، أنهما استطاعتا أن تتحررا بعض التحرر في أدائهما اللغوي، من بعض ما كان يرسف فيه الإنشاء الصحفي سابقا من رطانة وركاكة وعامية. وإن الفضل في ذلك لا يعود إلى إرادة الاحتلال، ولا إلى إدارته، وإنما يرجع إلى أولئك النفر من الجزائريين الذين كانوا يشرفون على تحرير مادة تلكما الصحيفتين، من أمثال هؤلاء الشيوخ: عبد القادر المجاوي (1914/1848)، محمد مصطفى بن الخوجة (1917/1865)،عبد الحليم بن سماية (1933/1866)، المولود بن الموهوب (1939/1866)، محمد بن شنب (1929/1869).. وغيرهم.

وكان لما بذله هؤلاء الأعلام من جهد في المجالين الثقافي والفني بعض الأثر في نشر الوعي الاجتماعي من نحو، والإسهام من نحو ثان في ترقية لغة الخطاب الإعلامي في هذه المرحلة. ولعل ذلك هو الذي جعل الإمام محمد عبده (1905/1849) يقول أثناء زيارته إلى الجزائر 1903 عن صحيفة (المغرب)"... وهي على قبحها وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم بعض أحوال العالم وشؤون الاجتماع، فنتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد"[2].

الصحف الوطنية بداياتها وأنواعها

1. جريدة الصديق ع:52 (1932.03.06) نقلا عن المصدر السابق ص 32.
2. سعد الدين بن شنب: مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر، ع:1 (1964).

نشير بدءا إلى أن ما يعنيه البحث بالصحف الوطنية هي تلك التي أنشأها الجزائريون لخدمة أغراض وطنية، ويعود ظهورها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، ويمكن أن تتوزع إلى أربع مجموعات هي:

1. **صحف الحركة الإصلاحية:** وهي كثيرة وقد قامت بجهد مميز في نشر العربية وترقيتها.

2. **صحف الطرق الصوفية:** من بينها: البلاغ (1926/12/24) والمعيار (1932/12/18). وقد ساهمت هذه الصحف بشيء في نشر العربية، بقدر ما بين يديها من إمكانات، وقد ساعدها على ذلك ما كان بين بعض هذه الصحف، و مجموعة الصحف الإصلاحية من حوار ونقاش.

3. **صحف الحركة السياسية:** وهي لسان حزب النجم، ثم حزب الشعب الجزائري، ومن أهمها جريدة (الأمة) الصادرة باللسان العربي في باريس 1930.

4. **صحف النخبة التغريبية:** وهي لسان حال بعض الاندماجيين والمتجنسين، ومن بينها: جريدة (التقدم) التي صدرت باللسانين في (1923/05/25)، ويشرف على إدارتها الطبيب ابن التهامي، وصحيفة (الوفاق)، وجريدة (صوت الأهالي).

ومما يمكن أن يستخلصه المرء مما تقدم عن هذه الصحف الوطنية، أن الإسهامات الفاعلة في عملية إحياء العربية ونشرها والذود عنها، إنما كانت قد نهضت بالقسط الأوفر منها صحف الحركة الإصلاحية، وبشيء من ذلك صحف الطرق الصوفية. وأما صحافة المجموعة الثالثة (الحركة السياسية الاستقلالية) فقد كان مفعولها في الموضوع المدروس ضئيلا، ليس

لأن خدمة العربية لم تكن من اهتماماتها، وإنما لأن هذه الصحف كانت قليلة من نحو، كما أنها لم تعمر إلا قليلا من نحو ثان، وكان العامل السياسي يغلب على غيره في اهتماماتها العامة من نحو ثالث.

وأما صحف المجموعة الرابعة (صحافة النخبة) فقد كان بعضها يتخذ من الفرنسية لسانا له، وما كان منها باللسان العربي فقد كان أداؤه ضعيفا هزيلا، بالإضافة إلى أن النهوض بالعربية لم يكن من الأمور التي توليها هذه الصحافة شيئا من عنايتها.

ويخلص البحث من هذا التحليل والنقاش إلى أن الصحف الوطنية التي كان لها الدور الفاعل في نشر العربية، إنما هي صحف الحركة الإصلاحية، فماذا عن ذلك ؟.

الصحافة الإصلاحية وإسهاماتها في النهوض بالعربية:

لعل من المنهجي أن يستهل البحث معالجته لإسهامات هذه الصحافة في الموضوع المدروس بشيء من الإلماع إلى مراحل تطورها ،ويمكن القول في هذا الصدد أن هذه الصحف قد مرت عبر تطورها بمراحل ثلاث هي:

1. **المرحلة الأولى:** ويؤرخ لها بما قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، و من أهم صحفها: الجزائر(1908/10/27)، ثم ذو الفقار (1913/10/15)، وكلتا الجريدتين للصحافي الرائد عمر راسم (1959/1883) ثم الفاروق (1913/02/18)، للصحافي الرائد عمر بن قدور (1932/1886).

وقد وقفت هذه الصحف بكامل روحها الملية والقومية إلى جانب لسان الأمة (اللغة العربية)، وحرصت على النهوض بها، بالرغم من انعدام الحريات وضعف الإمكانات وكثرة الملاحقات.

2. المرحلة الثانية: وتعود إلى العشرينات من القرن الماضي، وقد شهدت هذه المرحلة الانطلاقة الفاعلة للصحافة الإصلاحية، ومن أهمها: النجاح (1919) لصاحبها عبد الحفيظ الهاشمي (1895 . ؟)، ثم تلتها: الإقدام (1920) للأمير خالد (1875 . 1936) وكانت هذه الصحف قد شهدت في أواسط العشرينات بعض الانتعاش في أعقاب دخول بعض أعلام الحركة الوطنية الحضارية الميدان الإعلامي، في محاولة منهم للنهوض بالحركة الفكرية والأدبية. وكان في مقدمة هؤلاء الإمام ابن باديس (1889-1940) الذي أصدر صحيفته الأولى: المنتقدم (1925/07/02) فكانت الفاتحة الميمونة والانطلاقة الرشيدة على درب النهضة الوطنية العامة إلا أن المحتلين لم يطمئنوا لظهور (المنتقد) ولم يرقهم منهجها الوطني الحضاري، فسارعوا إلى وأدها وهي صبية بنت بضعة أشهر. ولم تكتحل عيون الأمة بنورها، لأكثر من ثمانية عشر عددا فكانت هذه الثمانية عشر عددا " في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا "[1] غير أن هذه السياسة الجائرة لم تثن عزم ابن باديس على مواصلة جهاده في هذا الميدان، فلم يلبث أن أصدر الشهاب (1925/09/12) فأحيا الله بها (المنتقد الشهيدة) وأطال الله في عمرها، فاستمرت في الظهور إلى سنة 1939. وكان الشيخ الطيب العقبي (1890-1960) قد أصدر جريدته: (الإصلاح) (1927) فكان

1. الشهاب ج1 م5 (أفريل 1935).

لها دورها المميز في خدمة الحركة الفكرية، كما أصدر في السنة نفسها محمد السعيد الزاهري (1956/1999) جريدة (البرق) فكان لها الأثر البارز في موكب النهضة.

وقد شهدت هذه الفترة أيضا صدور مجموعة من جرائد الشيخ أبي اليقظان (1888- 1973) (وادي ميزاب، المغرب، النور و الأمة وغيرها...)، وكانت هذه الأخيرة من أطول صحفه عمرا وأعظمها عناية بالناحية الثقافية والأدبية، إذ عمرت من (1933 إلى 1938)، وحينما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائرية (05 ماي 1931) سارعت إلى اقتحام أسوار الميدان الإعلامي، فأصدرت تباعا في (عام 1933) ثلاث جرائد هي: (السنة، الشريعة، السراط). إلا أن الاحتلال كان من وراء هذه الصحف، فأوقفها الواحدة تلوى الأخرى، ولم يترك لأية منها أن تعمر أكثر من بضعة أشهر معدودة ،إلا أن الشيء لا يستغرب من معدنه، ففرنسا دولة (الحرية والأخوة والمساواة!) هكذا كانت ألفاظ شعار ثورتها التاريخية، الذي كان يتشدق به المتشدقون في المحافل هنا وهناك. أما مصداقية ذلك الشعار في واقع الحال فلا تسل، فقد كانت نارا يتلظى بجحيمها (المستضعفون) على مستوى (رفيع!)، وذلك أن فرنسا قد استعبدت (بالحرية!) رقاب الناس، واغتصبت ديارهم وأموالهم، وفرضت عليهم (بالأخوة!) سياسة التعصب والميز العنصري، وحكمتهم (بالمساواة) فظلمت وجارت وأجحفت، وكان من آثار هذا (العدل والإنصاف والأخوة والإنسانية!) أن أصبح الناس في الجزائر قسمين: سادة وهم المحتلون، ولهم الحظ الأوفر من خيرات (المستضعفين) ولهم السلطة المطلقة على كل شيء في أرض (المقهورين). وعبيد وهم

الأهالي (الأنديجينا) وليس لهم مما تزخر به بلادهم من غلال وثروات وجمال، إلا الحظ الأوكس.

وقد توهم المحتلون أنهم بهذه السياسة الجائرة، وبمصادرتهم تلك الصحف الثلاث لجمعية العلماء قد يستطيعون أن يوقفوا جهاد الشعب الجزائري، ويسكتوا صوته، دفاعا عن أصالته وحقوقه. إلا أن أحداث الواقع زيفت أحلامهم وأوقفتهم على غير ما كانوا يتمنون، فما كادت شمس تلك الصحف تختفي من الأفق حتى أشرق ضياء الحق في سماء الجزائر في اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام 1935، بنور المولود الجديد (البصائر)، فكانت الصحيفة الرابعة للجمعية، والثانية بعد الشهاب في قائمة كبرى الصحف الوطنية.

3. المرحلة الثالثة: تعود إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد شهدت الصحافة الإصلاحية أثناءها بعض الازدهار في إطار تطور حركة النهضة الوطنية العامة. فصدرت (البصائر) من جديد في سلسلتها الثانية (جوليت 1947)، كما ظهرت صحيفة (المغرب العربي) للأديب محمد السعيد الزاهري(1947)، وجريدة المنار (1951) لمحمود بوزوزو.

وكان الشيخ الإبراهيمي على رأس تحرير البصائر، وإلى جانبه كوكبة من الكتاب يشدون عضده، وكان هؤلاء يعنون في كتاباتهم بصحة اللفظ وفصاحته وقوة أدائه ،إلى جانب شيء من التصوير، وشيء من الإيقاع ،وشيء من الجمال يستعينون بذلك على نقل خطابهم الإعلامي إلى المتلقين نقلا مؤثرا و ممتعا، وكان من ذلك ما ميز الإنشاء الصحفي في هذه المرحلة بخاصية (المزاوجة ما بين القيم التبليغية و القيم الجمالية).

ونخلص من هذا النقاش عن مراحل تطور الصحف الإصلاحية إلى القول بأن هذه الصحف قد كان لها بجميع أنواعها و في جميع مراحلها، الأثر الفاعل في نشر العربية وترقيتها، فسمت بذلك بالخطاب الإعلامي من حيث موضوعه، فاقترب ذلك من اهتمامات الأمة فكرا وثقافة واجتماعا، كما حررت صورة هذا الخطاب مما كان يرسف فيه في الصحف السابقة من عامية ورطانة وإسفاف، وقد تجلى هذا الجهد في الميدانين النظري والعملي، فماذا عن ذلك ؟

إسهامات الصحافة الإصلاحية في الحقل النظري:

يمكن القول أن إسهامات الصحف الإصلاحية في هذا الحقل تتمركز في هذه المحاور:

1. **التأكيد على إبراز مكانة العربية في حياة الأمة** بوصفها اللسان المعبر عن عقيدتها ،والمقوم المميز لشخصيتها، والوعاء المؤتمن على حضارتها، ويؤكد هذه الحقيقة أكثر من واحد من أعلام الأمة، يأتي في مقدمتهم الأمير خالد الذي يقول في هذا الشأن " إن حياة الأمة بحياة لغتها "[1].

وتأخذ العربية هذه المكانة عند الجزائريين، لأنها الآصرة الصلبة والعروة الوثقى التي توحد ما بين أفراد الأمة، وتعبر عن إرادتهم وتشد أواصر الصلة بينهم، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، يقول ابن باديس في هذا الشأن" ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد، إلا

1. الصديق ع: 7 (1920.10.12) نقلا عن د/ محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية 2: 45.

هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة"[1].

2. **الدعوة إلى الإقبال على تعلم العربية والعمل على نشرها وترقيتها:** لقد عنيت الصحافة الإصلاحية أيما عناية بعملية إحياء العربية ونشرها والحث على تعلمها وتعليمها، ومن بين ما سجلته هذه الصحافة في هذا الموضوع، هذا النص المعبر للشيخ المولود ابن الموهوب الذي نشره في جريدة (الصديق) يخاطب فيه الأمة، موضحا لها فاعلية الصلة بين تعلم العربية وتعليمها، وبين الوحدة الوطنية من نحو، وما بين الزهد في تعلمها، وبين ما ينجم عن ذلك من مخاطر على هذه الوحدة من نحو ثان " أنتم تعلمون أن الداعي إلى الوحدة الوطنية منا يسعى في تعليم لغتنا وتعميم نشرها، حتى تكون هذه اللغة الجارية في خطاباتنا وتحريراتنا على وجه الصحة، لا نعدل إلى التفاهم بغيرها إلا عند الحاجة.. أنتم تعلمون متى أهملت أمة لغتها وزهدت في تعلمها انفصمت عرى جامعتها . لا محالة . وتفرقت أيدي سبأ" [2]

وقد ظل ابن باديس طوال حياته يعلم الجيل العربية، ويحثه على الإقبال على تعلمها والالتزام بالتحدث بها في الخطاب اليومي، وينكر على من يستبدل العامية بها في ذلك وفي غيره [3]، كما كان قد توجه في إطار الغيرة على لسان الأمة ومحاولة النهوض به، ببعض انتقاداته إلى من ظلوا يسلكون في مناهج تدريس العربية للجيل تلك الطرق العويصة والأساليب

1. البصائر ع: 71 (1939.06.22).
2. الصديق ع:16 (1921.01.10) نقلا عن د/ ناصر المقالة الصحفية الجزائرية 2: 46.
3. مجلة "المحات" ع: 2 (1968) الجزائر.

العقيمة، مما كان من بين أكبر العوامل التي كرست جمودها وأعاقت على تطورها[1].

ويقف الشيخ أبو اليقظان عند تلكم الظاهرة الموروثة عن فترة الاحتلال الأجنبي، والتي ما تزال بلادنا تعاني من أدوائها في عدة ميادين من حياتنا التربوية واللغوية والإدارية، تلكم هي علة الازدواجية اللغوية التي استفحل أمرها في أوساطنا حتى كادت أن تصبح سلوكا من السلوكات الواجب الالتزام بها في جميع مظاهر حياتنا، من أشدها تفاهة إلى أعظمها قداسة، إن الشيخ أبا اليقظان يصور بكل مرارة ذلك التدني الذي انحدر إليه الآداء في الخطاب اليومي في مجتمعنا، وقد انتهى به ذلك الهبوط إلى رطانة عجيبة وخليط غريب "لا هو عربي ولا بربري ولا فرنسي، وإنما هو مزيج من اللغة العربية والبربرية و الفرنسية، والعربية منه أقل الثلاثة، مع ما هي عليه من التكسر والاختزال، والأغرب من هذا، أنه كثير ما يقع إشكال المتخاطبين بالعربية، وإذا التجئوا إلى الفرنسية تفاهموا وزال الإشكال، والكل عرب مسلمون"[2].

3. **إن جهود أعلام الصحافة الإصلاحية** في حقل النهوض بالعربية لم تقتصر . رغم العوائق الكثيرة والإمكانات القليلة . على ما رأينا من إصرار على الاعتزاز بها، و حرص على نشرها وترقيتها، وإنما أبلى أولئك الأعلام . إلى جانب ذلك . البلاء الحسن في المنافحة عن العربية، والتأكيد على حق الأمة في تعلمها وتعليمها، والتصدي لما كان يستهدفها من جور السلطة

1. الشهاب ج8 م5 (1929.09.09) نقلا عن المصدر السابق 2: 52.
2. جريدة "وادي ميزاب" ع:55 (1927.11.03) نقلا عن المصدر السابق 2: 50.

وتعسف القوانين، والاضطهاد البوليسي للقائمين على تعليمها ونشرها، وملاحقتهم بالتغريم والسجن، ومصادرة صحفهم وإغلاق مدارسهم، من ذلك منشور (ميشال) أمين عام عمالة الجزائر سنة 1933. وقانون 08 مارس 1938 الذي أصدره وزير الداخلية الفرنسية (شوطان) القاضي باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

لقد واجه أولئك الكتاب المجاهدون بحكمة وصرامة هذه السياسة الظالمة ضد العربية، كما حرصوا في الوقت ذاته على الرفع من مستوى وعي الأمة بالمخاطر التي تهدد شخصيتها ووحدتها من جراء تلكم المظالم التي بلغت أو تكاد منتهاها، بأن جعلت العربية كما يقول ابن باديس "اللغة المهملة بين أبنائها، المحرومة من ميزانية بلدها، المطاردة في عقر دارها، المغلقة مدارسها، المحارب القائمون على نشرها من أبنائها"[1]

ويقول الشاعر محمد العيد في هذا المضمار:

ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها***وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمي

وما نحن إلا من سلالة يعرب***من رام عنها فصلنا باء بالرغم[2]

ونخلص بهذا القدر من بيان ما كان من دور الصحافة الإصلاحية (نظريا) في نشر العربية وترقيتها، إلى الوقوف عند بعض ما كان لهذه الصحف من ذلك (عمليا). فكيف كان ذلك ؟

إسهامات الصحافة الإصلاحية في الحقل العملي

1. البصائر ع: 136 (1938.10.21).
2. ديوانه ص: 205 الجزائر (1967)

لقد كان لأعلام الصحافة جهد ملموس في الحقل العملي نهوضا بالعربية، ألفاظا وتراكيب، صيغا وأساليب، ويمكن الوقوف على شيء من ذلك من خلال الرجوع إلى أعمال هؤلاء الكتاب، ومعاينة ما تتميز به آثارهم من حرص على صحة اللغة وسلامتها وبلاغتها وفصاحتها، والالتزام بقواعدها وعدم التساهل فيها، والعمل على تيسير أساليب الخطاب بها وتحريرها مما كانت تتعثر فيه من قيود الصنعة والتكلف، وترسف فيه من مظاهر الابتذال و الإسفاف، والسمو بها إلى مراقي الفن والجمال، وقد وفر هؤلاء الكتاب بذلك للخطاب الإعلامي ما سمح له بمسايرة مستجدات العصر والتعبير عن متطلباته، مما مكنه من تحقيق المواءمة ما بين طبيعة الموضوعات المعالجة والأهداف المتوخاة، وما بين الصورة اللفظية المعبرة عنها.

وإنه من الواضح في تطبيقات النقد في الأدب العربي أن القيم التعبيرية والسمات الأسلوبية للخطاب، إنما تتشكل طوابعها استجابة لتلك القاعدة البلاغية التي أقرها النقاد العرب القدامى في تقييم فنية الخطاب، وحرص الأدباء على الوفاء بها، ومؤداها أن بلاغة الخطاب إنما تتمثل في (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)[1]. ولكي تتحقق هذه المقولة في النص ينبغي أن تتوفر في بنائه جملة من العناصر من أهمها: (مراعاة حقائق الموضوع المعالج–حال صاحب النص–حال المتلقي– الغاية المتوخاة).

ونلحظ أن صاحب الخطاب الإعلامي، إنما يعالج في الغالب قضايا موضوعية تتصل بمختلف مظاهر حياة الإنسان فردا ومجتمعا، ويتوجه بخطابه إلى العامة والخاصة بغرض الإفهام والإقناع والتوعية والإعلام، مما يدفعه إلى

1. ابن خلدون: المقدمة تحقيق د/علي عبد الواحد وافي. ط2 القاهرة 1965.

الحرص على انتقاء لغته وتطويعها، وتبسيط أسلوبه والابتعاد به عن الإغراب والتأنق – وهذه بعض خصائص الأسلوب الصحفي– [1]، حتى يستطيع بذلك أن يمهد الطريق أمام رسالته لتأخذ مسارها في يسر ومباشرة وسهولة، ومن دون عوائق ومنعرجات، إلى قلب المتلقي وعقله، فيساعده ذلك على فهم تلك الرسالة والانفعال بها.

وقد أخذ الخطاب الإعلامي في الصحف الإصلاحية، في ضوء هذا المنهج خصائصه من خلال ما تفتقت عنه قرائح محرري هذه الصحف، ومما دبجته أقلامهم من كتابات، حرص فيها هؤلاء على انتقاء معجمهم اللغوي من الصحيح المتداول من لغة العصر، ومن الجزل الفصيح من لغة التراث،

فجمعوا بذلك في كثير من أساليب أعمالهم ما بين الأصالة و المعاصرة، وإن الشواهد على هذه النقلة الملحوظة في أداء الخطاب الإعلامي في الصحف الإصلاحية كثيرة، إلا أن صدر المقام لا يتسع إلى استعراض النصوص الدالة على ذلك ومناقشتها، ويمكن لمن أراد أن يضع يده على ذلك أن يرجع إلى الصحف الإصلاحية، فإنه واجد بها ضالته في كثير من كتابات معظم أعلام هذه الصحافة، من أمثال: عبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، وأبي اليقظان، و حمزة بوكوشة، وعبد الحفيظ الهاشمي، ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد الهادي السنوسي... وغيرهم.

1. د/ عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية بمصر ط 3 القاهرة 1964.

وإن المتأمل في جهود هؤلاء وأضرابهم في عملية تطوير التحرير الصحفي والسمو به يمكن أن يتبين ذلك في جملة من السمات المميزة من أهمها:

1. **العناية بالعنصر المنطقي** في بنية الخطاب الإعلامي، وفي منهجية عرض أفكاره، وفي طرائق معالجتها، لقد كان الصحفي يعمد في الغالب في بناء عمله إلى تنسيق معانيه وترتيبها وحسن تبويبها، كما يحرص على صياغتها في أسلوب سهل مباشر يساعد على نقلها إلى أهدافها في يسر و وضوح.

2. **الحرص على ظاهرة التكامل الوظيفي** ما بين اللفظ والمعنى في نظم الخطاب، وإن الكتاب كانوا ينهضون بذلك عمليا، كما كانوا ينصون على ذلك أيضا نظريا، فها هو الإمام ابن باديس يؤكد ذلك بقوله بأن الكلام " لا يكون كريما شريفا إلا إذا كان عنوانا صادقا حسن مظهره ومخبره، وعذب جناه وطاب مغرسه، وما ثماره وما غرسه، إلا القلب الذي صدر منه"[1].

ويبدو أن ابن باديس بذهابه في هذه القضية هذا المذهب، يقترب في الموضوع من رأي عبد القاهر الجرجاني صاحب (نظرية النظم) الذي يرى أن قيمة الخطاب، إنما تكمن في المعنى الممتاز، و المشاعر الصادقة، و العبارة الجيدة، وعليه فإن الصورة فرع في النص وليست أصلا. إن البلاغة في الأسلوب تنتهي إلى نظم الكلام وفق حاجة المعنى[2]. ويبتعد ابن باديس في هذا الباب من نحو آخر، عما ذهب إليه الجاحظ الذي يقدم اللفظ عن المعنى في عملية تقييم الخطاب، فيرى أن " المعاني مطروحة في الطريق

---

1. الشهاب ج4 م6 (ماي 1930)

2. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص: 69 تح محمود محمد شاكر ط3 القاهرة 1992.

يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك"[1].

3. **غلبة الميول الجدية** في التعامل مع معظم ما يعالجه كتاب الصحف الإصلاحية من قضايا، وما يتناولونه من موضوعات، وإن هذه هي القاعدة العامة عند هؤلاء الكتاب، أما الاستثناء فهو المزاوجة أحيانا ما بين هذا الأسلوب الجدي الحازم، وبين شيء من أسلوب ا لسخرية والتهكم في بعض المواقف ومع بعض الشخصيات، كما يفعل ذلك بعضهم من أمثال (أحمد رضا حوحو، وحمزة بوكوشة، والسعيد الزاهري، والشيخ الإبراهيمي)[2].

4. **الميل إلى الإيجاز والقصد** ويبدو ذلك خاصة في التعبير عن الخطاب الإعلامي بأسلوب موجز مركز، يعمد فيه الكاتب إلى نقل معانيه إلى المتلقي بطريقة سريعة مباشرة في غير ما حاجة إلى تفصيل وإسهاب.

5. **يغلب على أسلوب الإنشاء الصحفي** في الجرائد الإصلاحية معجم لغوي، متداولة ألفاظه وتراكيبه في أوساط جمهور المتلقين ذوي المستوى التعليمي العادي، ويمكن أن يستثنى من ذلك بعض نصوص البصائر (السلسلة الثانية)، وبخاصة ما كان منها متصلا بكتابات الشيخ الإبراهيمي الذي كان يميل في بعض أعماله إلى شيء من الإغراب في معجمه اللغوي، باغترافه فيه من النموذج اللغوي التراثي.

---

1. الجاحظ، الحيوان 3: 331 دار الكتاب لبنان 1969.
2. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 613–639 ط2 (ش.و) الجزائر (د.ت).

6. **الزهد في الإكثار من الخيال والأسجاع والزخارف**، والميل إلى المباشرة والترسل والقرب، وما يضارع هذه الخصائص من سمات الأسلوب الصحفي، وهي بعض ما ميز أسلوب النثر العربي الحديث " فقد نشأ في النثر أسلوب عصري بسيط لا يرى أصحابه حاجة إلى تنميق العبارة والتأنق في التركيب، وإنما يجعلون همهم إيضاح المعنى وإيصاله إلى ذهن القارئ بسهولة"[1].

مستويات الأداء اللغوي في الخطاب الإعلامي الإصلاحي

إن من يتأمل ما حاولت الصحافة الإصلاحية أن تسهم به في عملية نشر اللغة العربية وترقية أسلوب الأداء بها في الخطاب الإعلامي، وينعم النظر فيما ركزت عليه هذه الصحافة من خصائص أسلوبية، ثم يقوم يجمع المتشابه منها في وحدات، إن الذي يقوم بذلك يمكنه أن يخلص من ذلك، إلى أن الخطاب الإعلامي في الصحف الإصلاحية، إنما يتوزع من حيث صنعته إلى ثلاثة مستويات فنية هي:

1. **المستوى الأول:** وتمثله صحف مطلع القرن العشرين، سواء منها تلك التي كان يقوم على تحريرها بعض شيوخ تلك المرحلة (جماعة المجاوي)، أو تلك التي أسسها وأشرف على تحريرها رائدا الصحافة الوطنية: عمر راسم وعمر بن قدور. وقد تميز الأداء الإعلامي في هذا المستوى بمحاولة هذه الصحف الإسهام بالقدر الذي سمحت لها به إمكاناتها يومئذ، في النهوض بالإنشاء الصحفي والسمو به على بعض ما كان قد انحدر إليه في الصحف السابقة من إسفاف وركاكة وعامية.

1. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية 4: 607 دار مكتبة الحياة بيروت (د.ت).

2. **المستوى الثاني:** ويعود إلى مرحلة النهضة (ما بعد الحرب العالمية الأولى) وكانت الحركة الإصلاحية(الوطنية الحضارية) قد شهدت انطلاقتها الفاعلة في هذه الفترة، وكانت عملية إحياء العربية ونشرها والمنافحة عنها، من بين أهم مرتكزات مشروعها الحضاري يومئذ، ومن ثم انطلقت هذه الحركة في هذه العملية من تحليل عميق لما يتطلبه الواقع من عوامل من أهمها: –الوضع الثقافي واللغوي المتأزم من جراء سياسة الاحتلال– ضرورة التفتح على قضايا العصر– العمل على الالتزام بعملية الرجوع إلى التراث، وتطوير عنصر الإفادة من عطاءات النهضة القومية الفكرية واللغوية.

وقد اقتضى منهج العمل الإعلامي في هذه المرحلة وفي ضوء هذه المؤثرات، التركيز في عملية النهوض ببنية الخطاب، على انتقاء اللغة من حيث صحتها وفصاحتها وسهولتها، وقدرتها على التبليغ المباشر السريع، دون ما ميل إلى التأنق اللفظي والزخرف البديعي، وكان من ذلك ما ميز الأداء اللغوي في هذا المستوى بخاصية التركيز على (القيمة التبليغية) أكثر من العناية (بالقيمة الجمالية)، كما يظهر ذلك في الخطاب الإعلامي لدى معظم أعلام النهضة ما بين الحربين.

3. **المستوى الثالث:** ويمكن أن يؤرخ له بالأربعينات، وكانت حركة النهضة في هذه الفترة قد ازدادت عنايتها – بعد الذي حققته من نجاحات في المجالين الاجتماعي والوطني – بالناحية اللغوية والأدبية، وذلك بمضاعفة الجهد في الارتقاء بلغة الإنشاء الصحافي، على ألا يقتصر ذلك على صحة اللغة وفصاحتها فحسب، كما تميز به الأداء اللغوي في المستوى السابق، وإنما على أساس أن تتسم صورة الخطاب– إلى جانب

ذلك – بشيء من جمالية النص البلاغي التراثي، وذلك من خلال انتقاء اللغة وإحكام النظم وتلوين الصورة و تنويع النغم و تجميل الديباجة، كما يبدو ذلك في الخطاب الإعلامي لأدباء هذا المستوى من أمثال (الزاهري وبوكوشة وابن ذياب)، وبخاصة ما كان من ذلك متصلا بما دبجه قلم الإبراهيمي من عيون في صحيفة (البصائر) السلسلة الثانية، فأحيا بذلك شباب العربية وألبس أسلوبها حلا من القوة والإحكام والبلاغة والبيان، وحررها من السجع المرذول والصنعة المتكلفة، فأكمل بذلك ما كانت تفتقر إلى بعضه لغة الإعلام في الصحف الجزائرية يومئذ من أدبية وجمال، فجمع الأداء الإعلامي بذلك ما بين الاستعمال اللغوي الصحيح الفصيح، وبين الأسلوب الرائق الجميل، مما ميز الأسلوب الصحفي في هذا المستوى بطابع (المزاوجة ما بين القيم التبليغية والقيم الجمالية).

ولعل من بين ما كان يهدف إليه الإبراهيمي من خلال اغترافه سمات أسلوبه من النموذج البلاغي التراثي، إبراز وجه الجزائر العربي، مفندا بذلك دعاوى المحتلين. ويعلل المرحوم الأستاذ الدكتور جنيدي خليفة ذلك برغبة الإبراهيمي ومن ورائه فريق تحرير (البصائر) في التأثير على المتلقّين بنقلهم إلى الجو التراثي المشحون بقيمهم الدينية وأصولهم اللغوية والثقافية، تنمية للشعور في نفوس مواطنيه بالانتماء المتميز عمن يحكمونهم، وتعميق الاعتزاز بهذا الإحساس في صدورهم[1].

ومما يخلص إليه البحث بعد، أن الصحافة الإصلاحية كانت مدرسة وطنية فكرية، أدبية ولغوية، فقد تخرج من فيض عطائها وعظيم نداها جيل

1. المجاهد الأسبوعي (1968.05.26) الوظيفة الاجتماعية لأسلوب الشيخ الابراهيمي.

من الإعلاميين والأدباء والمفكرين، لقد اجتهد هؤلاء جميعا وجاهدوا على غرس فضيلة حب الانتماء في نفوس النشء، إلى هذه الأمة، وإلى كل ما يتصل بها من قيم ومقومات، وكانت العربية من بين أهم ذلك، فأقبل الجيل على تعلمها وتعليمها والاعتزاز بها والغيرة عليها، واتخاذها أداة طيعة للتعبير عما يعتمل في صدورهم من مشاعر وأفكار، وعما تختلج به نفوسهم من آلام وآمال.

وكان من ذلك ما أثار إعجاب بعض المفكرين والأدباء في بعض البلاد الشقيقة، بجهود أعلام هذه النهضة الصحافية، وشد أنظارهم إليها، فأشادوا بما وصل إليه الأداء الإعلامي في جانبه الفكري في هذه الصحافة من نضج وسداد، وما بلغ إليه في جانبه الفني من رقي وجمال[1]، مما جعل هذه الصحافة– بالقوة وبالفعل– مدرسة جهاد ،وقلعة بناء ،ومبعث أ مل على طريق الغد الأغر.

وإذا كان هذا بعض ما كان من مكانة العربية في حياة الجزائريين كما تصوره الصحافة الإصلاحية يومئذ، فماذا عن تلك المكانة في حياتهم، وفي صحفهم في الوقت الحاضر؟

الصحف الجزائرية بين الأمس واليوم:

لقد استمرت الصحافة الوطنية في أعقاب الاستقلال تواصل جهادها على طريق عملية التمكين للغة العربية والنهوض بها، فظهرت مجموعة من الصحف اليومية باللسان العربي من بينها: جريدة **(الشعب)** ثم شمل التعريب

1. من بين من أشاد من هؤلاء الأشقاء بالصحافة الإصلاحية في الجزائر وأعلامها: الأستاذان الأمير شكيب أرسلان والدكتور زكي مبارك ينظر الشهاب ج2 م11 (ماي 1935)

جريدة (**لاديباش القسنطينية**) فأصبحت جريدة (**النصر**)، كما تعربت أيضا جريدة (**الجزائر الجمهورية**) الوهرانية.

وكانت قد ظهرت إلى جانب تلك الصحف اليومية مجموعة من اليوميات و المجلات الشهرية باللسان العربي يأتي في مقدمتها: (مجلة الجيش) و (المجاهد الثقافي) التابعةلجبهة التحرير الوطني، كما أصدرت وزارة الشؤون الدينية هذه الصحف (المعرفة، القبس، الأصالة، العصر، الرسالة). وأصدرت وزارة الثقافة: (الثقافة وآمال). كما ظهر في السنوات الأخيرة مجموعة من الدوريات الأكاديمية التي تصدرها بعض الكليات في الجامعات الجزائرية. وقد تضافرت كل هذه النشريات على خدمة العربية وترقيتها. أما الصحف الناطقة باللغة الأجنبية في هذه الفترة فكانت قليلة، لعل من أهمها (جريدة المجاهد اليومية وأسبوعيتين أو ثلاث).

ثم دخلت البلاد في عهد التعددية السياسية فظهرت مجموعة من الصحف المستقلة بالعربية وبالفرنسية.

أما الصحف العربية فقد حاولت أن تواصل المسيرة على طريق النهوض باللغة العربية والتمكين لها في حدود قدراتها المتاحة. أما الصحف الناطقة بالفرنسية فلم تقتصر على هجر العربية فحسب، وإنما حاول بعضها أن يقف منها موقفا سلبيا غير مشرف.

وتحسن الإشارة إلى أن ظاهرة وجود صحف ناطقة باللغة الأجنبية لا تنفرد بها الجزائر من بين شقيقاتها العربيات، وإنما هي ظاهرة عامة لا يكاد تخلو منها بلد عربي، إلا أن الفرق بين هذه الصحف التغريبية في الجزائر و في غيرها من البلاد الشقيقة يمكن تلخيصه في جانبين اثنين:

1. **الجانب الأول:** يتمثل في كون هذه الصحف الناطقة باللغة الأجنبية محدودة العدد في البلاد العربية. أما في الجزائر فإن عددها قد يقارب العشرين، وهي بذلك أكثر عددا وأوفر حظا من الناطقة بلسان الأمة!

2. **أما الجانب الثاني:** فيتمثل في هذه الظاهرة الغريبة، وهي أن هذه الصحف التغريبية في البلاد العربية تخاطب الناطقين بغير العربية، أما في الجزائر فإن أصحابها يتوجهون بها إلى مخاطبة الشعب الجزائري، وهذا هو وجه المفارقة بين هذا النوع من الصحف هنا وهناك.

وقد كان الخطاب الإعلامي بغير العربية في الجزائر موجودا ومقبولا في فترة الاحتلال، وذلك لأن الضرورة تفرضه لاستخدامه في النضال من أجل القضية الوطنية، فكان حال الإعلاميين الجزائريين آنذاك شبيها بحال الأدباء الجزائريين الذين كانوا يكتبون يومئذ بالفرنسية، دفاعا عن الحقوق الوطنية. كما كانت جماعة النواب تصدر بعض جرائدها باللسانين حينا وبالفرنسية وحدها طورا آخر، كما يظهر ذلك في جرائدهم: (الوفاق ،صوت الأهالي، التقدم وغيرها...).

وقد خطا الإعلام الوطني آنذاك خطوة أكثر جرأة في هذا المضمار، فأصدر بعض أعلام الحركة الوطنية بعض صحفهم باللسانين، كما يتجلى ذلك في هذه الجرائد: (الإقدام) للأمير خالد، و(الدفاع) للأديب الشهيد محمد الأمين العمودي، و في سنة 1952 أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صحيفة (الشباب المسلم) باللسان الفرنسي .

وقد كان ذلك يومئذ أسلوبا من أساليب الكفاح الوطني، أما اليوم فإن استمرارية مخاطبة الشعب الجزائري العربي المسلم بغير لغته وعلى نطاق

واسع كما رأينا، فإن ذلك يمكن أن يعتبر مظهرا من مظاهر الاختلال و الاعتلال في مسيرة الشعب الجزائري ،نحو بناء شخصيته المتميزة والمحافظة على أصالته وهويته.

ويمكن القول أن ما تقوم به هذه الصحف المتغربة اليوم يضارع ما يقوم به حاضرا من يكتب من الجزائريين بعض أعماله بغير لغة قومه (اللغة الفرنسية)، والحال أن معظم هؤلاء الإعلاميين وأولئك الكتاب من خريجي مدرسة الجزائر المستقلة التي بلغت من العمر أربعين سنة ،ألا تكفي هذه المدة لتمكين اللغة العربية من سيادتها في عقر دارها ؟ وهل ما تزال عملية تعريب الفكر واللسان في الجزائر المجاهدة تحتاج إلى وقت أكثر من هذا الوقت الذي مضى في ربيع الحرية؟

وبعد، فإن الوقوف عند هذه الظاهرة، ظاهرة الاستمرار في التعبير عن وجدان الأمة وعن عقلها بغير لغتها لا يعني بحال، الدعوة إلى التزهيد في تعلم اللغات الأجنبية، أو التقليل من أهميتها في عملية الإفادة من عطاءات الثقافة الأجنبية وابتكارات التجربة الإنسانية، وإنما كان الإلماع إلى ذلك بدافع التذكير بوجوب أولوية العناية بلغة الأمة، وضرورة تنزيلها المنزلة الأولى في جميع مجالات حياتنا التربوية والإعلامية والإدارية والأدبية والثقافية وغيرها. ويمكن أن يتأكد من هذه المقاصد من يتذكر من أن الدعوة إلى الإقبال على اللغات الأجنبية تعد من بين ما تحفز العزائم على طلبه تعاليم ديننا وتقوم على أسسه منظومة حضارتنا.

وبهذا التبصر وذلكم الوعي كان موقف أعلام الحركة الوطنية من اللغة الأجنبية، من الأمير خالد إلى الإمام ابن باديس، ومن جاء من بعدهما على

طريقهما، إذ لم يكونوا من المتعصبين ضد لغة الآخر، كما لم يكونوا أيضا من دعاة الانغلاق والانكفاء على الذات، وإنما كان وعيهم عميقا بأهمية اللسان وفاعليته في عملية التواصل الحضاري بين الأمم، ومحاولة الإفادة من مختلف عطاءات الخبرة الإنسانية. كما لم يكن من المنطقي أن تغيب هذه الحقيقة على ذهن من عاصر معركة الصراع الفكري، وكان له إلمام بملابسات انتقال الحضارة من أمة إلى أخرى. وكان لذلك من البديهي أن يشجع أولئك الأعلام على تعلم اللغات الأجنبية، وهم إذ يدعون إلى ذلك، إنما كانوا يعتقدون أن تعلم اللغات مما يحض عليه الدين، و قد استوعب السلف هذا الدرس فأخذوا به في أبحاثهم العلمية، فشيدوا على أركانه صرح حضارة رائدة يقول ابن باديس في هذا الصدد:" كنا نؤمن بأن اللغات الأجنبية كلها محترمة، وأنها من آيات الله من قول ربنا (ومن آياته اختلاف ألسنتكم)"[1].

وقد جسد ابن باديس هذا الإيمان سلوكيا في الواقع العملي، من خلال ما يشرف عليه من مؤسسات تربوية و اجتماعية، فقد نص القانون الداخلي لجمعية التربية و التعليم التي كان يرأسها الإمام على تعليم تلامذتها اللسان الفرنسي كلغة ثانوية إلى جانب اللغة العربية[2]، كما سرى العمل بذلك من بعد، في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلف أرجاء الوطن .

1. البصائر ع: 115 (1938.05.27) الآية: 22 من سورة الروم
2. البصائر ع: 171 (1939.06.22)

ونـذكر أن هـؤلاء الأعـلام وهـم يحـاولون أن يحثـوا الجيـل فـي فتـرة الاحتلال على الإفادة من اللغة الأجنبية، فقد كانوا في الوقت ذاته يحرصون أشد الحرص على أن ينزلوا اللغة العربية المنزلة اللائقة بها في قلوبهم وفي عقولهم، وفي جميع مظاهر حياتهم...

الخلاصـة: وينتهـي البحث في خاتمته إلـى القول أن معظم الصـحف الوطنية كان لها دورها الفاعل في النهضة الوطنية العامة، وفي احتضان الحركة الثقافية واللغوية وتطويرها بوجه خاص، مما جعل هذه الصحف (بحق) المصدر الرئيسي الذي لا يمكن أن يستغني عن الرجوع إليه كل من يتصدى للتأريخ والبحث في أوضاع الجزائر في العصر الحديث: اجتماعا وسياسة وثقافة وأدبا ولغة. وبالرغم من هذه الأهمية لهذه الصحف فإن الخزائن العامة في الجزائر تكاد تخلو من هذه الدوريات، وإذا ما عثر الباحث في هذه الدور على شيء من ذلك، فإنه واجد القليل منه في مجلدات، وأما كثيره فهو على شكل أشرطة مصورة (ميكرو فيلم)، ومن ثم فإن جل ما يرجع إليه الباحثون ويقيمون عليه دراستهم في هذا المجال يعود إلى بعض المكتبات الخاصة. أما مجموع هذه الدوريات فهو من وراء البحر. وإنه لمما يحز في النفس أن تظل تلك الكنوز من تراث الأمة مدفونة في دهاليز بعض المكتبات الأجنبية، غريبة عن منابتها الأصلية، وكأنما أريد لها بذلك أن تعيش عناء هذه الغربة مرتين، تعيشها بالأمس حين كانت تلاحق بالقوانين الجائرة وهي في طريقها إلى الأمة، فتزعم على التوقف والمصادرة، وتجبر على السكون والسكوت، وتعيشها اليوم وهي سجينة في منفاها هنالك وراء البحر، تتلظى بنار الشوق والحنين إلى استنشاق نسمات

الربوع التي ولدت فيها، وعرفت طريقها إلى نور الحياة فوق جنبات ثراها، وامتطت صهوة الجهاد والمغالبة من أجل استرداد حريتها وفك أسرها.

فمتى تتحرك الضمائر الحرة و الإرادات المخلصة إلى إطلاق سراح هذه الذخائر الحبيسة، وإخلاء السبيل أمام عودتها إلى أهلها وذويها ؟ ويومئذ ستنتعش الأرواح بأريج عبير أوبة تلك الآثار، وتصقل العقول بثاقب أفكارها، وتستقيم مناهج البحث بناصع حقائقها، وتزهر حقول الثقافة والفكر والأدب واللغة، بثمار غلالها، وفيض نداها، وكريم محتدها...

وإن المرء وقد انتهي به البحث إلى رسم بعض الملامح، مما كانت تفيض به صدور رجالات الأمة وتجسده أعمالهم ومواقفهم بالأمس، حبا واعتزازا بالعربية، نشرا وترقية لها، غيرة ومنافحة عليها، فإنه وهو يسجل هذه الحقيقة، ليشعر بأمل كبير يغمر قلبه بأن تكون همم رجالات الأمة اليوم وغدا في عصر (العولمة) التي تعني – في جملة ما تعنيه – تهميش وإقصاء الخصوصيات اللغوية والثقافية للأمم الأخرى، أكثر وفاء للغة الملة والأرومة، وأشد حرصا على النهوض بها، وترقيتها ونشرها، حفاظا على أصالة الأمة، وحماية لشخصها، وصيانة لوحدتها، والله الموفق...

الهوامش: نشير بدءا إلى أن البحث رجع فيما يتصل بعملية التأريخ للصحف المدروسة، إلى أهم الأبحاث التي عنيت بالصحف الجزائرية وهي:

أولا. الصحف العربية الجزائرية: د/ محمد ناصر (ش. و.ن.ت) الجزائر 1980.

ثانيا. تاريخ الصحافة في الجزائر: الزبير سيف الإسلام (ش.و.ن.ت) الجزائر 1986

ثالثا. الصحافة الإسلامية الجزائرية: د/زهير إحدادن (م.و) الجزائر ب. ت.